Arab Journal of Sciences & Research Publishing (AJSRP) • Vol 11, Issue 4 (2025) • P: 58 - 40
https: //journals.ajsrp.com/index.php/ajsrp
ISSN: 2518-5780 (Online) • ISSN: 2518-5780 (Print)

Material Culture and the Social, Economic, Architectural, and Religious Transformations of Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods: A Comprehensive Overview

Prof. Salah Hussein Al-Houdalieh
The Institute of Archaeology | Faculty of Arts | Al-Quds University | Palestine

Received: 13/10/2025
Revised: 10/11/2025
Accepted: 30/11/2025
Published: 15/12/2025

* Corresponding author: shoudalieh@staff.alquds.edu

Citation: Al-Houdalieh, S. H. (2025). Material Culture and the Social, Economic, Architectural, and Religious Transformations of Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods: A Comprehensive Overview. *Arab Journal of Sciences & Research Publishing, 11*(4), 40 – 58. https://doi.org/10.26389/AJSRP.D151025

2025 © AISRP • Arab Institute for Sciences & Research Publishing (AISRP), United States, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study explores the archaeological remains of Palestine from the Neolithic and Chalcolithic periods, based on excavations carried out over the past two centuries. The research aims to highlight how climate changes during these periods affected patterns and methods of subsistence, and to present the key intellectual and material achievements of each period within a streamlined narrative. This approach helps readers follow the developments in social structures, religious thought, economic systems, tools and pottery production, architectural styles, and burial customs along with their grave goods. The study uses a descriptive-analytical approach, reviewing relevant literature and conducting comparative analysis to arrive at the most accurate interpretations. Results show that the warmer climate in Palestine during the Neolithic and Chalcolithic periods played a major role in promoting permanent settlements, the creation of agricultural and craft villages, and significant lifestyle changes. The research also finds that people in these periods pioneered innovations that positively impacted their quality of life and influenced later societies—such as developing agriculture, domesticating animals, advancing various industries, and shaping religious beliefs.

Keywords: Neolithic period, Chalcolithic period, prehistory, Palestine, material culture, social transformation.

المادة الحضارية والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية والدينية في فلسطين خلال العصرين الحجري الحديث والنحاسي: نظرة شاملة

أ.د/ صلاح حسين الهودلية
المعهد العالي للآثار | كلية الآداب | جامعة القدس | فلسطين

المستخلص: يتناول هذا البحث آثار فلسطين خلال العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي، وذلك اعتمادًا على نتائج أعمال التنقيبات الأثرية التي أجريت فيها على مدار القرنين الماضيين. ويهدف هذا البحث إلى إظهار تداعيات التغيرات المناخية التي رافقت هذين العصرين على أنماط ووسائل المعيشة، وإلى عرض أهم الإنجازات الفكرية والمادية لكل عصر منهما ضمن قصة سردية مبسطة تتيح للقارئ تتبع منحنيات التغير على التركيبة المجتمعية، والفكر الديني، وعناصر الاقتصاد، وتقنيات تصنيع الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي، والطرز المعمارية، وطرز المدافن وما ترافق معها من مرفقات جنائزية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وعلى مراجعة الأدبيات ذات العلاقة، ومقارنة المتشابه منها للوقوف على الصحيح فيها. وتوصلت هذه الدراسة إلى أن حالة الدفء التي سادت مناخ فلسطين خلال العصرين الحجري الحديث والنحاسي قد ساهمت بدرجة كبيرة في اشتداد النزعة نحو الاستقرار الدائم، وبناء قرى زراعية وحرفيّة، وإحداث تغير ملحوظ في وسائل المعيشة. كما وتوصلت إلى أن الإنسان خلال هذين العصرين كان رائدًا في عدد من الابتكارات التي أرخت بظلالها الإيجابية على مستوى وطبيعة معيشته بشكل خاص وعلى المجموعات البشرية خلال العصور اللاحقة حتى يومنا هذا، مثل: الزراعة، وتدجين الحيوانات، والصناعات المختلفة، وتأطير الفكري الديني.

الكلمات المفتاحية: العصر الحجري الحديث، العصر الحجري النحاسي، عصور ما قبل التاريخ، فلسطين، المادة الحضارية، التحولات الاجتماعية.

مقدمة.

شهدت نهاية الألف العاشر قبل الميلاد تحولاً مناخيًا تدريجيًا، حيث أصبحت الأحوال الجوية أكثر دِفئًا ورطوبة من ذي قبل، الأمر الذي أدى إلى ذوبان جزءٍ من الصفائح الجليدية وتدفق مياهها عبر الأودية والأنهار، وإلى ازدياد ملحوظ في عناصر الغطائين النباتي والحيواني على مساحات واسعة، خاصة في المناطق التي تتوفر فيها مصادر مياه دائمة، وكذلك إلى تنوع بيئي استقطب الإنسان للعيش فيه بشكل دائم (كفافي 2011: 118). بلا شك، إن الثقافة النطوفية قد شكلت حجر الزاوية لإحداث انعطافه جذرية في البنية الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، وكذلك في المنتوج المادي الحضاري لدى إنسان العصر الحجري الحديث، حيث إن مجتمعات هذا العصر قد ورثت منظومة فكرية ومادية متطورة نسبيًا من أسلافها النطوفيين فزادت عليها وطورتها وابتكرت من ثناياها عناصر جديدة جعلتهم يتسمون بأنهم أصحاب ثورة/ نهضة أرخت بظلالها على مجتمعات العصور اللاحقة (المحيسن، 1994: 41). يرى كثير من الآثاريين والمؤرخين والأنثروبولوجيين بأن العصر الحجري الحديث قد شهد أحد أهم حلقات التاريخ البشري القديم، حيث إن إنسانه قام بتحقيق ثورة على النمطية الاقتصادية الموروثة من الفترة النطوفية، وزاد من إمكانية السيطرة على بيئته وتحقيق شروط أفضل لحياته. وقد تمكن الإنسان من خلال هذه الثورة/ النهضة متعددة العناصر من وضع حجر الأساس لإحداث انعطافه جذرية في نمطية حياته وأسلوب معيشته؛ وبذلك تحرر من الاعتماد الطفيلي الاستهلاكي على ما تجود به الطبيعة ليصبح منتجًا ومتحكمًا بمصادر اقتصاده، وبطريقة معيشته؛ وبالتالي لم تعد تتحكم به الطبيعة بدرجة قصوى، وإنما أصبح هو متحكماً بها حيث أمكنه ذلك (كفافي، 2011: 118-119). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الثورة/ النهضة، والتي لم تحدث بصورة مفاجئة وإنما بجهود مشتركة عبر أجيال عدة، قد تحققت نتيجة تناغم الإنسان مع محيطه الجغرافي ببيئاته المختلفة (شوفاني 1996: 29-32).

وبالاعتماد على نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت في عدد كبير من المواقع الأثرية في منطقة جنوبي بلاد الشام، فإنه يمكن القول بأن هذين العصرين قد شهدا تغيرات في المنظومتين الاجتماعية والفكرية، وفي الناتج المادي، والتي تجلت في زيادة عدد المواقع المأهولة وعدد سكانها، وفي ازدياد عدد المعابد، وفي تنوع طرز الدفن، وفي التخصص الحرفي، بالإضافة إلى ظهور قرى المشيخيات (Levy, 1986: 83). وتجدر الإشارة إلى أن مرحلة الانتقال من العصر الحجري الحديث إلى العصر الحجري النحاسي لم تكن جذرية من حيث التغيير في أنماط الاستقرار، وطبيعة المعيشة، وعناصر ووسائل الإنتاج؛ وإنما ارتكز الفصل بينهما على وجود بعض التغيرات في طريقة تصنيع وأشكال الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي، مثل الأدوات الحجرية والعظمية، والآنية الفخارية، بالإضافة إلى استحداث التعدين، علما بأن صناعة الأدوات النحاسية لم تظهر إلا في النصف الأخير من هذا العصر وبكميات قليلة نسبيًا (إبراهيم، 1990: 50). ويكمن مبرر الدراسة في الحاجة إلى إظهار عناصر التفرد التي امتاز به كل عصر من هذين العصرين، وكذلك أهم التغيرات على نمط المعيشة والمادة الحضارية التي حدثت خلال العصر الحجري النحاسي بالمقارنة مع العصر السابق.

أولا: العصر الحجري الحديث

يقسم العصر الحجري الحديث إلى مرحلتين رئيستين تعرف أولاهما بالعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (9600 – 6400 ق.م)، والتي بدورها تقسم إلى ثلاث فترات فرعية، وهي: (أ)، و (ب)، و (ج)؛ وتعرف ثانيهما باسم العصر الحجري الحديث الفخاري (6400 – 5800 ق.م)، والتي تقسم بدورها إلى فترتين فرعيتين، هما: (أ)، و (ب) (Karfinkel, 2014: 1441). وقد استند الباحثون في هذا التقسيم بشكل أساسّ على وجود أو عدم وجود الآنية الفخارية في السويات الأثرية، وإلى منحنيات التغير في أشكال الأدوات ذات الاستخدام اليومي، بالإضافة إلى بقية الانعكاسات المادية للفكر والثقافة وطبيعة المعيشة. وقد شهدت مرحلتي هذا العصر تطورات فكرية، وتقنية، ومعمارية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية، وفنية تتجلى انعكاساتها في جوانب عدة، ومنها: زيادة النزعة للاستقرار وتأسيس قرى دائمة، وممارسة الزراعة وتدجين الحيوانات والتجارة، وتطور العقيدة والممارسات الدينية، وصناعة الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي.

1. **زيادة النزعة للاستقرار وتأسيس قرى دائمة:** حقيقة، إن بداية تأسيس القرى الدائمة يعود إلى مجموعات الصيادين خلال العصر الحجري الوسيط، إلا أن مجموعات بشرية كثيرة خلال العصر الحجري الحديث أصبحت تميل إلى الاستقرار الدائم في بقاع جغرافية معينة تتوافر فيها شروط العيش مثل: المناخ الملائم، وخصوبة التربة، ومصادر المياه الدائمة، بالإضافة إلى توافر الأصول البرية للنباتات والحيوانات حيث أمكن. وبهذا فقد زاد عدد القرى عن ذي قبل وتوزعت على بيئات مختلفة، مثل: أريحا، ووادي فلاح، ووادي بكر، وجلجال (كفافي، 2011: 122)، وأبو غوش، وبيسامون، وخربة الخالدية، وعثليث، وكفر الهريش، والمنحطة، وجروف الجليل (أبو غنيمة 2006: 502) (شكل 1).

الشكل (1): المو اقع الأثرية الرئيسة الواردة في هذا البحث (رسم إبراهيم إقطيط).

انتشرت قرى الفترة (أ) من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار في معظم البيئات الجغرافية الفلسطينية، إلا أن غالبيتها قد احتضنته منطقة الأغوار، والمناطق الساحلية والجبلية؛ وقد تباينت هذه القرى فيما بينها من حيث المساحة، وعدد السكان، وبداية ونهاية الاستقرار فيها، بالإضافة إلى مصادر وطبيعة المعيشة (Sayer, 2011: 11-21) ، حيث بلغت مساحة أريحا، وفصايل الفوقا (نتيف هجدود)، وذراع، وجلجال 1 حوالي 10,000 مترًا مربعًا؛ وهذا يعني أن مساحة هذه القرى كانت ثمانية إلى عشرة أضعاف عما كانت عليه خلال فترة الثقافة النطوفية (Goring-Moris and Belfer-Cohen, 2014: 22) ، وعلى النقيض من ذلك فإن مساحة عدد كبير من مواقع هذه الفترة كانت صغيرة ولا تتعدى بضع مئات من الأمتار المربعة مثل عراق الدب، ووادي فلاح (Twiss, 2007: 26). وشهدت الفترة (ب) من مرحلة ما قبل الفخار زيادة ملحوظة في عدد ومساحة القرى، والتي انفرد بعضها بمساحة كبيرة ملفتة للنظر، وبذلك أطلق عليها تسمية المواقع الكبيرة (Mega sites)، أو البلدات. ويعزى السبب في زيادة مساحة العديد من هذه القرى إلى حدوث اختلال مناخي مناطقي، الأمر الذي أدى بسكانها للهجرة إلى مناطق أخرى لم تتأثر كثيرًا بسبب هذا الاختلال. ومع نهاية هذه الفترة وبداية الفترة (ج) من مرحلة ما قبل الفخار فقد تم هجران العديد من القرى، في ظل زيادة ملحوظة في مساحة كثير من القرى التي لم تهجر (كفافي، 2011: 126-138؛ Sayer, 2011: 11-21). أما المرحلة الثانية من هذا العصر فقد شهدت زيادة في عدد القرى ولكن بمساحة أصغر عما كانت عليه سابقًا (كفافي، 2011: 138-139).

إن نزعة الاستقرار الدائم، وما ترافق معه من تغيرات جذرية في أسلوب المعيشة، وفي المجالين الاقتصادي والاجتماعي قد انعكس بشكل صريح على تخطيط وعناصر النسيج المعماري لهذه القرى (أبو غنيمة 2006: 501-502)؛ والتي حظيت بالتخطيط المسبق، وتحديد مواقع أبنيتها العامة والخاصة، بالإضافة إلى شبكة الطرق الداخلية (أبو غنيمة، 2010: 150). ومن الواضح بأن الإنسان قد استغل المواد الإنشائية الأولية المتوفرة في مناطق القرى ومحيطها القريب لتشييد أبنيته لتلائم طبيعة حياته الجديدة التي انبثقت عن تمرده على بيئته

وانتصاره عليها؛ وتعتبر الحجارة غير المشذبة (الغفل)، والطين، والطوب الطيني المجفف، والخشب من أكثر أنواع المواد الأولية المستخدمة في تشييد البيوت (أبو غنيمة، 2006: 501-502). ومن الملاحظ بأن تخطيط البيوت من الفترة (أ) من مرحلة ما قبل الفخار قد استمر كما كان عليه في فترة الثقافة النطوفية، حيث لم يخرج عن الشكل المستدير، أو البيضاوي؛ وتكونت الوحدة السكنية من غرفة واحدة فقط، امتاز بعضها بتقسيم داخلي (Finlayson, 2007). وقد شيدت هذه البيوت بالطين على أساسات حجرية، وكان مستوى أرضياتها منخفضًا عن مستوى سطح الأرض المجاورة، وبالتالي كان الوصول إلى داخلها يتم بواسطة أدراج. وقد اشتملت هذه البيوت على عناصر إنشائية عدة، أهمها: الخنادق التأسيسية، والأساسات الحجرية، والجدران، والسقوف، والمصاطب، والدعائم الخشبية التي تساعد في حمل السقف، والمداخل، والنوافذ، وكانت أرضياتها غالبًا ما تُزوّد بمواقد وحفر تخزين (أبو غنيمة، 2006: 501-514). وقد عُثر على بقايا هذه البيوت في كل من أريحا، ووادي فلاح، ووادي بكر، وجلجال 1 (فلسطين)، ووادي فينان 16، والذراع (الأردن)، والجرف الأحمر، والمريبط (سوريا). وتنفرد أريحا عن بقية مواقع هذه الفترة بوجود نظام تحصيني يتكون من سور دفاعي، وبرج (شكل 2: أ)، وخندق. بني السور التحصيني بحجارة مختلفة الحجم، وتصل بقايا ارتفاعه إلى 3,6م، ويتراوح سمكه بين 1,8م عند القاعدة، و1,1م عند أقصى بقايا ارتفاعه. كما وبني البرج بحجارة مختلفة الحجم مباشرة إلى الواجهة الداخلية للسور من الجهة الغربية للموقع، وقد بلغ قطره حوالي 9م عند القاعدة و7م عند أعلى سطح السقف، وبلغ ارتفاعه حوالي 8,2م، واحتوى على سلم حجري يتكون من 22 درجة تقود من الأرضية إلى فتحة في سقف البرج (Bar-Yosef, 1986: 157). أما الخندق فقد عثر على أجزاء منه إلى الخارج من السور محفور في الصخر بعرض 3,2م، وبعمق 2,75م (شوفاني، 1996: 36).

الشكل (2): أ: سوروبرج أريحا (Nigro 2023: Fig. 1)، ب: بيوت من الإقحوانة (Sayer, 2011: Fig.2.9).

وفي ظل استمرار وجود الأبنية الدائرية أو البيضاوية خلال الفترة (ب) من مرحلة ما قبل الفخار، فإن هذه الفترة قد شهدت تطورًا ملحوظًا في تخطيط الأبنية، وعدد غرف الوحدة السكنية الواحدة، حيث ظهرت الغرف المستطيلة أو المربعة بزوايا قائمة. وتكونت الوحدات السكنية ذات الزوايا من غرفة واحدة أو أكثر، وربما تكّون بعضها من طابقين بدلالة وجود سلالم حجرية داخلية (كفافي، 2011، ص 130)؛ وكانت غالبية أرضياتها مقصورة ومدهونة باللون الأحمر، والزهري، والأبيض؛ وتم العثور إلى الأسفل من بعض هذه الأرضيات على قنوات مبنية بالحجارة استخدمت لتصريف المياه (Goring-Morris and Belfer-Cohen: 2014: 26). ومع مرور الوقت فقد شهدت بعض هذه الوحدات السكنية توسيعا بإضافة غُرفٍ جانبية، أو بإزالة جدرانٍ داخلية (كفافي، 2011: 130).

أما الأبنية السكنية المؤرخة إلى العصر الحجري الحديث الفخاري، والتي شملت على الدائرية أو البيضاوية، والمستطيلة أو المربعة، بالإضافة إلى ذات الجدار المنحني، فقد تباينت فيما بينها من حيث مادة الإنشاء والمساحة. وقد بنيت جدران معظم البيوت الواقعة في منطقة الأغوار والمناطق الساحلية من الطين أو الطوب الطيني المجفف فوق أساسات حجرية، في حين أنها بنيت في المناطق الجبلية بالحجارة والطين. وقد تكونت الوحدات السكنية ذات الزوايا القائمة من عدة غرف بمساحات متفاوتة، وكان بعضها من طابقين (كفافي، 2011: 149) (شكل 2: ب).

2. **ممارسة الزراعة وتدجين الحيوانات والتجارة**: شهد اقتصاد الإنسان خلال العصر الحجري الحديث انعطافه جذرية، حيث تم مع بداية الفترة (أ) من مرحلة ما قبل الفخار زراعة بعض أنواع النباتات الموسمية (كفافي، 2011: 121)، مثل القمح، والشعير (Abuhelaleh 2010: 22)، والذرة، والفستق، والكتان (Zeder, 2008: 11599-11600)، والبقوليات، مثل: العدس، والبازيلاء، والفول، والحمص. وقد عثر على بقايا بذور هذه النباتات المدجنة في جروف الجليل، ووادي صفورية (وادي الملك)، والقحوانة (Caracuta, Vardi, Paz and Boaretto 2017: 1-3). وقد قام الإنسان خلال الفترة (ب) من مرحلة ما قبل الفخار بتدجين بعض أنواع الحيوانات مثل الضأن، والماعز، والخنزير، والأبقار (Zeder, 2008: 11597-11598)، مع استمراره بتوفير جزء من كمية اللحوم عن طريق صيد الحيوانات، والطيور، والأسماك. إن كثرة وجود البقايا النباتية والحيوانية المدجنة، وتعدد شفرات المناجل المكتشفة، بالإضافة إلى وجود صوامع التخزين في عديد من المواقع الأثرية تدلل على أن ثقل الاقتصاد خلال هذه الفترة كان يعتمد بشكل رئيس على الزراعة وتدجين الحيوانات. حقيقة، لقد طرحت نظريتان حول منشأ تدجين الحيوانات: تنص أولاهما على أن التدجين قد بدأ في تركيا والأناضول، ومن ثم انتقل إلى بلاد الشام عن طريق الهجرات والتجارة؛ أما ثانيهما: فتشير إلى أن التدجين في بلاد الشام قد حصل نتيجة تطور محلي دون أن يكون هناك تأثير ملموس من مجتمعات مناطق الجوار. وتشير نتائج التنقيبات الأثرية في العديد من المواقع الأثرية في جنوبي بلاد الشام إلى أن الإنسان في الفترة (ج) من مرحلة ما قبل الفخار قد مارس الزراعة بكثرة، بالإضافة إلى أنه زاد من اهتمامه بتدجين الماعز على حساب الضأن (Zeder, 2008: 11597-11598). إن كثرة بقايا عظام الحيوانات المدجنة في الطبقات الأثرية المؤرخة إلى مرحلة العصر الحجري الحديث الفخاري تدلل على أن الأنسان قد زاد تدجين قطعانٍ كبيرة من الماعز، والضأن، والخنازير، وربما اهتدى إلى تدجين الحمير (Abuhelaleh, 2010: 23). ونستدل من وجود الأدوات الحجرية المصنوعة من السبج (الاوبسيديان)، وبعض الصحون البازلتية، وخرز مصنوع من الحجارة، وبعض الأختام في الطبقات الأثرية من مرحلتي هذا العصر إلى أن الإنسان قد عرف التجارة الخارجية، وبالأخص مع الأناضول، وربما مع قبرص وشمال بلاد الرافدين (Rosenberg, Getzov and Assaf, 2010; Ibanez et al, 2015: 1-11)، وصدّر إليها الملح والقار (إبراهيم، 1990: 15).

3. **العقيدة والممارسات الدينية**: مع ترسيخ ظاهرة الاستقرار الدائم في تجمعات سكنية بغض النظر عن مساحتها، ونمطية اقتصاد ساكنيها، فقد شهد العصر الحجري الحديث تطورًا ملحوظًا في منظومة الفكر الديني ليصبح دينًا جمعيًا ومؤسساتيًا قام أشخاص على تأطيره ضمن شعائر وممارسات طقسية وأشرفوا على تطبيقها. وقد سعى الإنسان من خلال هذه الممارسة لإرضاء القوى اللامرئية المتحكمة في المظاهر الطبيعية المؤثرة على عناصر اقتصاده، وأنماط معيشته (الناضوري، 1967: 11). آمن إنسان هذا العصر بالحياة ما بعد الموت (الحياة الأخرى)، وقام بعبادة الإلهة الأم، وعبادة الحيوانات، وعبادة الأسلاف، بالإضافة إلى عبادة الإله المزدوج. وفي ظل غياب الكتابات، فإننا نستدل على التركيبة الدينية لإنسان هذا العصر من خلال المقابر، والتماثيل، بالإضافة إلى المعابد. ومن الواضح بأن إنسان هذا العصر قد أولى موتاه اهتمامًا كبيرًا ينم عن عقيدة دينية ومنظومة أخلاقية واجتماعية واضحة ومتأصلة بين أفراد المجتمعات بغض النظر عن طبيعة معيشتها، حيث كان الموتى يدفنون على هيئة القرفصاء (على هيئة الجنين في رحم أمه) ويزودون بالعديد من المرفقات الجنائزية، والتي قد يكون لها دلالات سحرية. وقد شملت هذه المرفقات على أدوات حجرية، مثل: الفؤوس، ورؤوس السهام، وشفرات المناجل، والسكاكين، وأدوات الطحن كالمدق والهاون، بالإضافة إلى لحوم الحيوانات (والتي لم يبق منها مع الزمن سوى العظام)، وأصداف، وبذور نباتات، وقطع من المِغرَة الحمراء، وتماثيل بشرية مصنوعة من الطين أو الحجر (أبو غنيمة، 2001: 4-29).

وتصنف مقابر هذا العصر إلى فردية وجماعية، وكذلك إلى أولية وثانوية. وكان يتم دفن الموتى غالبًا في داخل حفر بسيطة التكوين تحفر في أرضيات المنازل، ويسجى الميت فيها إما على الجانب الأيمن أو الأيسر بشكل القرفصاء، ومن ثم يُهال عليه التراب ليعاد الجزء المحفور من الأرضية إلى ما كان عليه. وفي العادة، كان يترك الميت في قبره حتى يتحلل اللحم ليعاد فتح القبر بهدف فصل الجمجمة عن بقية الهيكل

العظمي، ويتم دفنها في حفرة أخرى (كفافي، 2011: 132-133؛ أبو غنيمة، 2001: 4-29) تحت أرضية المنزل. كما تقسم قبور هذا العصر إلى عادية (ونسبتها عالية)، وأخرى عُملت خصيصًا لتأسيس الأبنية (ونسبتها قليلة). ومن الأمثلة على المقابر التأسيسية ما تم العثور عليه في أريحا، والذي تم الكشف عنه مباشرة إلى الأسفل من بلاطة حجرية استخدمت كأساس لدعامة خشبية لسقف أحد المنازل (أبو غنيمة، 2001: 5).

انتشرت عبادة السلف في الفترة (ب) من مرحلة ما قبل الفخار في معظم مناطق بلاد الشام، حيث قام الإنسان بفصل بعضًا من الجماجم عن الهياكل العظمية وطلاها بالجص (شكل 3: أ)، ومن ثم وضعها بعناية في حفر خاصة تحت أرضيات البيوت. ومن المعتقد بان هذه الجماجم كانت تستخرج من الحفر في فترات معينة ليتم عبادتها قبل أن تعاد مرة أخرى إلى مكانها (كوفان، 1988: 70-71). وعثر على جماجم مجصصة في كل من أريحا، وأبو غوش، وبيسامون، وخلة خالدية، وكفر الهريش، ووادي محرس (فلسطين)، وعين غزال (الأردن)، وتل الرماد، وتل أسود (سوريا) (أبو غنيمة 2001: 4-29؛ Nigro, 2017: Fig. 1) (شكل 1).

وتجدر الإشارة إلى أن ليس كل الجماجم التي تُفصل عن الهياكل العظمية كانت تُجصص، وإنما عدد قليل منها؛ الأمر الذي قد يعني بأن الجماجم المجصصة، والتي تعود لذكور وإناث من فئات عمرية مختلفة، كانت لأشخاص مميزين في مجتمعاتهم. وفي العادة، كان يتم تجصيص الجمجمة دون الفك السفلي الذي يبقى مع الهيكل العظمي. وتشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أن العدد الإجمالي للجماجم المجصصة المكتشفة في بلاد الشام، وتركيا يبلغ ثلاثًا وسبعين، منها إحدى وستون كشف عنها في أريحا، وبيسامون، وكفر الهريش، ووادي محرس (فلسطين)، وعين غزال (الأردن)، وتل الرماد (Romsburg, 2019: 10-17) (سوريا). ويقوم تجصيص الجماجم على إعادة تشكيلها بواسطة طلائها بطبقة جص، وتعبئة تجويف العينين بالصدف، وفي بعض الحالات دهان مكان الشعر بخطوط متقطعة. وبناء على اكتشاف بعض التماثيل النصفية ذات الرأسين في عين غزال (الأردن) من الفترة (ب) من مرحلة ما قبل الفخار (شكل 3: ب)، فإنه من المعتقد بأن الإنسان قد عبد الإله المزدوج (كوفان، 1988: 116-117؛ كفافي، 2011: شكل 30).

الشكل (3): أ: جماجم مجصصة من تل اسود (Stordeur and Khawam 2007: Fig. 6-1)، ب: تمثال نصفي من عين غزال (كفافي 2011: شكل 30)، ج: تمثال/ دمية امرأة من الاقحوانة (Garfinkel, Ben-Shlomo, and Korn 2010: Pl. IV).

وبالإضافة إلى الجماجم المجصصة، فقد عثر على كثير من التماثيل البشرية والحيوانية: قليل منها يؤرخ إلى الفترة (أ) من مرحلة ما قبل الفخار (معظمها بشري الهيئة)، في حين أن غالبيتها جاءت من الطبقات الأثرية المؤرخة إلى الفترة (ب) من هذه المرحلة. وقد جاءت التماثيل الحيوانية من السويات الأثرية المؤرخة إلى الفترة (ب) مصنوعة من الطين المجفف، وتعكس أنواعًا مختلفة من الحيوانات وهي بوضعية الوقوف ورأسها ممدودًا باتجاه الأمام. أما التماثيل البشرية فقد صنعت من الطين في غالبيتها، وقليلا منها صنع من الحصى والعظم. وقد شكلت هذه التماثيل المصنوعة من الطين بوضعية الجلوس ورجلها القصيرتين ممدودتين إلى الأمام، وقد حظيت بأنماط زخرفية متعددة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان التمثال الأنثوي الذي عثر عليه في أريحا مصقولاً، وتم زخرفة تمثال جلجال 1 بطبعات نهاية الأظافر، وزخرف تمثال فصايل الفوقا (نتيف هجدود) بالتحزيز، وقد تم تحديد العينين والساقين في تمثال صليبية 9 بخطوط عميقة. وجاءت التماثيل البشرية المصنوعة من العظم لتعبر عن الرؤوس فقط كالتي عثر عليها في أريحا، ووادي محرس، وأن تماثيل وادي محرس الأربعة قد طليت بالمغرة الحمراء، والأسفلت، والديوبتاز الأخضر، والجص الأبيض؛ وأن العينين قد زخرفتا إما باللون الأبيض أو الأسود؛ وأن بعضها احتوى على بقايا شعر مضاف إلى قمة الرأس ومثبت بالأسفلت (Twiss, 2001: 20-23).

أما في مرحلة العصر الحجري الحديث الفخاري فقد تعززت صناعة الدمى البشرية والحيوانية. وقد اشتهرت الدمى البشرية بوجود رأس هرمي الشكل بعينين على شكل حبة القهوة، وأن الأنثوية منها كانت تتسم بأنها تمثل نسوة سمينة بأرداف غليظة وبصدر وبطن مكتنزين، كالتي تم العثور عليها في القحوانة (شكل 3: ج)، والمنحطة (فلسطين)، وعين غزال، وأبو الثواب (الأردن) (كفافي، 2011: 134, 158).

4. **الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي**: صنع الإنسان كثيراً من الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي من مواد أولية مختلفة مثل: الصوان، والسيج، والبازلت، والعظم (Twiss, 2001: 17-18)، والطين، والخشب (كفافي، 2011: 155-157). وقد شهدت الفترة (أ) من مرحلة ما قبل الفخار (والتي تتكون من الثقافتين الخيامية والسلطانية) استمرارية لبعض أشكال الأدوات الصوّانية من الفترة النطوفية، بالإضافة إلى تطوير واضح على شكل وحجم وتقنية تصنيع البعض الآخر. وقد شملت الأدوات الصوانية الخيامية على كثير من رؤوس السهام، والمناقيش، والشفرات ذات الحجم المتوسط، ومثاقب، وشفرات المناجل، وعلى قليل من الأدوات الميكروليثية. أما الأدوات السلطانية فقد شملت على شفرات مناجل كبيرة الحجم، ومثاقب، ومناقيش، ورؤوس السهام، والقدوم، وبعضًا من الأدوات الميكروليثية (Twiss, 2001: 17-18)، بالإضافة إلى السكاكين، والمسننات، والفؤوس، والأزاميل التي استمر تصنيعها خلال الفترتين (ب) و(ج) من هذه المرحلة. أما في المرحلة الفخارية من هذا العصر فقد سادت السكاكين، والمناقيش، والمقاشط، والمخارز، والأزاميل، ورؤوس السهام الصغيرة جدًا، وشفرات المناجل المسننة (كفافي، 2011: 157) (شكل 4). بالإضافة إلى ذلك، فقد صنع الإنسان أدوات الطحن والجرش من حجارة البازلت، والتي تكونت في غالبيتها من المدق، والهاون، وألواح حجرية أكبر من قبضة اليد، وألواح حجرية أخرى كبيرة الحجم نسبياً لوضع الحبوب عليها أثناء الجرش، بالإضافة إلى حفر صخرية على شكل الصحن أو الكأس (Wright, 1992: 299). أما الأدوات العظمية من هذا العصر فقد شملت على أدوات الزينة، والمدببات، والملوّق (Garfinkel, Howrwitz, and Alhaique 2012: 217)، والمخارز، والإبر، والخطاف، والمشابك (George et al, 2019: 34).

الشكل (4): أدوات صوانية بأشكال مختلفة (بتصرف عن Barkai and Biran 2011: Fig. 4, 5, 7, and 8).

شاعت صناعة الآنية الفخارية مع بداية المرحلة الفخارية من العصر الحجري الحديث، ولكن لم يكن الاهتداء إلى صناعتها بشكل مفاجئ بل قام الإنسان خلال الفترة (ب) من مرحلة ما قبل الفخار بصناعة آنية بيضاء (White ware) كالتي تم العثور عليها في أريحا، وخلة خالدية (Dunn, 2006: 12 and 87)، وكفر الهريش (Biton, Goren & Goring-Morris, 2014: 748)، وتل تيو (Teo)، وجروف الجليل (Goren and Goldberg, 1991: 133). وقد راجت صناعة الآنية الفخارية في منطقة جنوبي بلاد الشام في فترة متأخرة نسبيًا عنها في شمالها، ويعتبر الفخار المعروف باسم "اليرموكي" و "أريحا أ" من أقدم أنواع الآنية الفخارية المزخرفة في هذه المنطقة، تلاها فخار "أريحا ب" و "فخار وادي رباح". وتصنف الآنية الفخارية من هذا العصر إلى خشنة وناعمة، وقد امتازت الخشنة منها باحتوائها على كميات كبيرة نسبيًا من حطام القش، والحصى الصغير، بالإضافة إلى حطام كسر الفخار؛ في حين أن الناعمة منها اتسمت باحتوائها على القليل من المواد المضافة، بالإضافة إلى

زخرفة سطحها الخارجي. تعددت أشكال الآنية الفخارية، واختلفت فيما بينها من حيث الحجم، والوظيفة، والزخرفة؛ إلا أن جميعها قد صنع بطريقة يدوية وحرقت/ شويت في حُفر أرضية. وقد شملت أشكال هذه الآنية على الجرار، والصحون، والكؤوس (كفافي، 2011: 147-157) (شكل 5 أ، ب، ج). وبالاعتماد على طرق الزخرفة فإن هذه الآنية تقسم إلى ست فئات على الأقل، وهي: البسيطة الخالية من التزيين، والمصقولة باللون الأسود، والمصقولة باللون الأحمر، والمحززة بأشكال مختلفة وخصوصاً عظمة ظهر السمكة، والمدهونة باستخدام فرشاة، وكذلك المدهونة والمحززة في آن واحد (Amiran, 1969: 19).

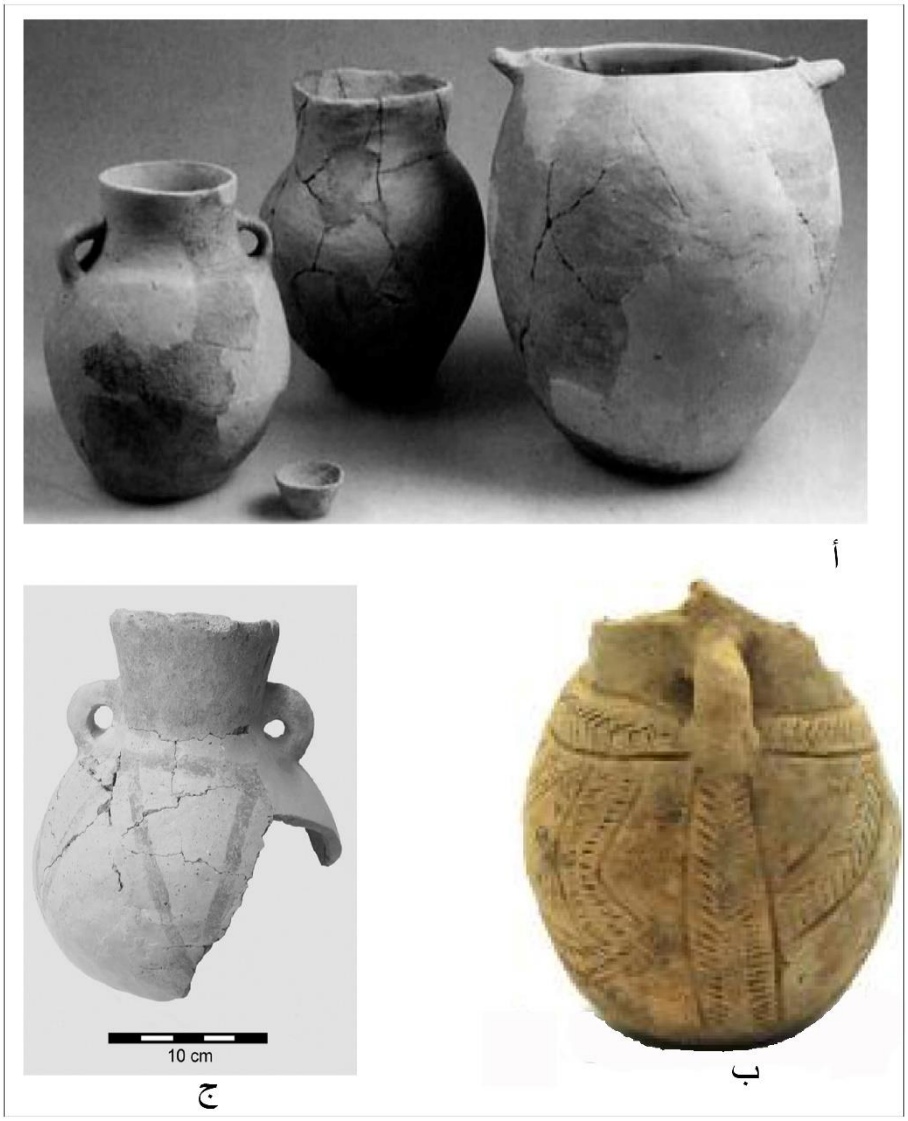

الشكل (5): أواني فخارية: أ: جراروكأس (Twiss 2007: Fig. 7)، ب: جرة مزخرفة بنظام عظام السمك (بتصرف عن كفافي 2011: شكل 34)، ج. جرة مزخرفة بالدهان (Vieugue, Garfinkel, Barzilai & Van den Bink, 2016: Fig. 2.9).

ثانيا: العصر الحجري النحاسي:

يؤرخ هذا العصر إلى الفترة الزمنية الممتدة بين 5800 – 3600 ق.م (Garfinkel, 2014: 1441)، ويقسم إلى ثلاث مراحل: مبكرة، ومتوسطة، ومتأخرة؛ إلا أن عدد من الباحثين المهتمين بالمادة الحضارية لهذا العصر يفضلون طرحها بعيدًا عن التقسيمات الزمنية إلى مراحل ثلاث، وربما يعود السبب في ذلك إلى اعتمادهم المنهج الأنثروبولوجي على حساب المنهج التاريخي (Gilead, 2011: 12). انتشرت قرى هذا العصر في كل الأقاليم الفلسطينية ابتداءً من بحيرة الحولة شمالاً، مرورًا بالمناطق الجبلية والساحلية، والأغوار، ووادي عربة، ووادي غزة، والنقب، حتى بئر السبع وصحراء النقب جنوبًا (Dollfus, and Kafafi, 2001: 162-173). وشهدت كثير من القرى من العصر الحجري الحديث استمرارية السكن فيها دون انقطاع خلال هذا العصر (كفافي، 2011: 163)، وأعيد السكن في بعض المواقع المهجورة والتي تقع غالبًا في مناطق خصبة، بالإضافة إلى تأسيس قرى جديدة خاصة في المناطق الصحراوية. ويستخلص من تنوع المكتشفات المادية من مواقع هذا العصر بأنه كان لكل منطقة مميزات تختلف بها عن الأخرى (إبراهيم، 1990: 51)، وبهذا فقد تم تقسيم مجتمعات هذه المناطق إلى عدة ثقافات (Rowan, and

Golden, 2009: 15). في حين أن ليفي صنف هذه التجمعات إلى إحدى عشرة ثقافة: أربعة منها شمالية تمتد من الجولان إلى وادي الحولة، والسهل الساحلي الشمالي، ووادي بيسان/ سهل مرج بن عامر، والمرتفعات الجبلية الوسطى، والسبعة الأخرى تمتد من جنوب نهر الأردن شرقًا إلى السهل الساحلي الجنوبي غربًا، ومن ثم إلى صحراء النقب جنوباً (Levy, 1986: 87)؛ إلا أن لوفل صنّفها إلى أربع ثقافات، هي: الغسولية (جنوب نهر الأردن)، وبئر السبع (منطقة النقب)، والنبي عور (شمالي نهر الأردن)، والجولانية (شمال فلسطين والأردن) (Lovell, 2001: 51). أما روان وجولدن فقد صنّفا هذه الثقافات في ست وحدات جغرافية، وهي: جنوب فلسطين والأردن، وبئر السبع، ونهر الأردن (الأغوار)، والمرتفعات الشرقية الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن، والجليل الأعلى والأسفل، ومرتفعات الجولان (Rowan and Golden, 2009: 12-20). وقد امتازت هذه الثقافات -بغض النظر عن عددها - بوجود اختلافات في مادتها الحضارية، وفي طبيعة معيشة إنسانها، وفي وسائل إنتاجه. فعلى سبيل المثال لا الحصر، امتازت الثقافة الغسولية بتصنيع أشكال آنية فخارية مثل مخض اللبن، والقمع، وصحون على شكل حرف V، وجرار كبيرة مزخرفة بالحبال الطينية (شكل 6: أ) لم يتم العثور على مثيلها في الثقافة الجولانية (Gilead 2011: 13-16)، وأن ثقافة بئر السبع امتازت عن غيرها من الحضارات بوجود الصناعات العاجية (Rowan and Golden, 2009: 15; Risenberg and Chasan, 2024). ولتوضيح الناتج المادي العام والخاص لمجتمعات هذا العصر، فإننا نركز على الآتي: التجمعات السكنية والنسيج المعماري، والاقتصاد، والدين، وعادات الدفن، والأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي.

الشكل (6): أ: أوانٍ فخارية (|| ISAW Exhibit || Ardon Bar Hama (noasarai.com))، ب: أبنية تليلات الغسول (Rowan and Golden, 2009: Fig. 4)، ج: بيوت الجولان (Epstein, 1998: Fig. 7)، د: الزخارف الجدارية في تليلات الغسول (Joffe, Dessel, and Hallote, 2001: Fig. 15).

1. **التجمعات السكنية والنسيج المعماري**: سكن الإنسان خلال هذا العصر في بعض الكهوف، وفي قرى متباينة المساحة بأسلوب معيشة مختلف (Rowan and Golden, 2009)؛ وعند مقارنة مساحات هذه القرى معها من العصر الحجري الحديث الفخاري فإننا نلاحظ فروقًا كبيرة بينها. ففي حين أن مساحة قرى العصر السابق كانت لا تتجاوز 70 دونماً في المعدل، فإن مساحة عدد كبير من قرى هذا العصر قد اتسمت بكبر مساحتها مثل بئر الصفدي وشقميم التي وصلت مساحة الواحدة منها حوالي 250 دونماً، وبلغت مساحة تليلات الغسول حوالي 520 دونمًا (كفافي، 2011: 164). وعلى الرغم من كبر مساحة كثير من مواقع هذا العصر، إلا أن أي منها لم يكن محاطًا

بنظام تحصين دفاعي (إبراهيم، 1990: 51). تقع غالبية هذه القرى إلى جوار مصادر المياه الدائمة، وفي المناطق الخصبة (شوفاني 1996: 39)، وإن بعضها أقيم في مناطق صحراوية أو شبه صحراوية (Rowan and Golden, 2009: 20-23).

اختلفت الوحدات السكنية المؤرخة لهذا العصر فيما بينها من حيث التخطيط، وعدد الغرف، وأسلوب الإنشاء، حيث نلاحظ وجود بيوت بغرف مستطيلة، أو مربعة، أو بجدار منحنٍ، أو بيضاوية الشكل؛ وقد بنيت إما على سطح الأرض أو تحته. وتعتبر البيوت ذات التخطيط المستطيل الأكثر شيوعًا خلال هذا العصر، والتي يمكن تصنيفها إلى طرازين: البيوت ذات الغرف المستطيلة بساحة أمامية، والبيوت ذات الغرف المستطيلة بدون ساحة أمامية. عثر على بقايا بيوت الطراز الأول في مواقع النقب، والأغوار (شكل 6: ب)، بالإضافة إلى مواقع جبلية وساحلية. وقد تكونت هذه البيوت من عدة غرف وساحة أمامية مسورة كانت تستخدم للقيام بالأعمال اليومية، مثل: تحضير الوجبة الغذائية، والغزل بدليل وجود المواقد، وحفر أرضية بأحجام مختلفة لخزن الحبوب، وجرار تخزين، وأدوات الطحن، بالإضافة إلى المغزل وثقالات النسيج. ومن الملاحظ بأن مساحة الوحدات السكنية المبنية بهذا الطراز جاءت متباينة، الأمر الذي قد يعكس اختلافاً في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لسكان هذه القرى. أما الطراز الثاني من البيوت ذات الغرف المستطيلة (شكل 6: ج)، والذي انحصر وجوده في منطقة الجولان، فقد تكون من عدة غرف مصفوفة إلى جوار بعضها على شكل سلسلة أو حبل. وتمتاز بيوت هذا الطراز بمساحتها المتقاربة (5-6م عرضاً x 15-16م طولاً)، الأمر الذي قد يدلل على عدم وجود فروق اجتماعية أو اقتصادية بين مالكيها. وبنيت جدران هذه البيوت بطرازيها في الغالب من الطوب الطيني فوق أساسات حجرية؛ وتكونت سقوفها من الخشب والقصب والطين؛ ورصفت أرضياتها بالحجارة أو طُليت بطبقة طينية. وقد امتازت بعض الغرف من الطراز الأول والمكتشفة في تليلات الغسول بوجود زخارف جدارية، كان أشهرها النجمة الثمانية (Rowan and Golden, 2009: 29-31) (شكل 6: د).

تم الكشف عن وحدات سكنية تحت مستوى سطح الأرض في كل من بئر الصفدي، وأبو مطر، وخربة البيطار، وخربة حور، وشقميم، وقد لوحظ بأن هذا الطراز من الوحدات المعمارية محصور في منطقة بئر السبع دون سواها من مواقع هذا العصر (Rowan and Golden, 2009: 31). ونستدل من نتائج الحفريات الأثرية في هذه المنطقة على أن أبنية هذه المواقع قد مرت بثلاث مراحل، كانت الوحدات المعمارية من المرحلة الأولى (القديمة) مبنية تحت مستوى سطح الأرض، وتتكون من مدخل جانبي أو رأسي يفضي إلى ساحة أمامية ومن ثم إلى حجرة مربعة أو مستطيلة الشكل بمساحة 3م x 7م في المعدل، واحتوت أرضياتها على حفر تخزين، ومواقد وصحون بازلتية. ومن الملاحظ بأن كثير من أبنية هذه المرحلة كانت متصلة مع بعضها بواسطة ممرات ضيقة. وتكونت الوحدات السكنية من المرحلة الثانية، والتي بنيت جزئيًا تحت مستوى سطح الأرض، من غرف دائرية أو بيضاوية الشكل بمساحة تتراوح بين 9-15 مترًا مربعًا، واحتوت أرضياتها على مواقد، وصحون بازلتية في ظل غياب حفر التخزين. أما منازل المرحلة الثالثة، والتي بنيت فوق مستوى سطح الأرض، فقد تكّونت من عدة غرف مربعة أو مستطيلة الشكل، وبلغت مساحة الواحدة منها 18 مترًا مربعًا في المعدل. بنيت جدران هذه البيوت من الطوب الطيني فوق أساسات حجرية، أما سقوفها فتكونت من الخشب والطين (إبراهيم 1990: 53-54؛ Gilead, 1987: 110-116). ومن المعتقد بأن عددًا كبيرًا من أبنية هذه المواقع قد شيدت تحت مستوى سطح الأرض للاتقاء من حر الصيف وبرد الشتاء، أو لأن سكانها كانوا مهاجرين جدد اعتادوا على السكن في منازل تحت مستوى سطح الأرض (Gilead, 1987: 115).

2. **اقتصاد التجمعات السكانية:** لم يشهد اقتصاد هذا العصر تحولاً جذريًا عما كان عليه خلال العصر السابق، حيث لم يخرج أسلوب المعيشة عن الزراعة، وتدجين الحيوانات، والصناعة، والتجارة. لقد حظيت المناطق الماطرة ذات التربة الخصبة بانتعاش الزراعة فيها، في حين اتّسمت المناطق شبه الجافة بالحياة الرعوية والصيد. ومارس الإنسان الزراعة البعلية والمروية، وقد زرع القمح، والشعير، والحمص، والعدس، والبازيلاء، والثوم، والبصل؛ وقام بزراعة أشجار الزيتون، والنخيل، والرمان، والبندق، والتين، والخوخ، واللوز، والجوز، والفستق. وقام الإنسان بتدجين ورعي عدة أنواع من الحيوانات في ظل استمراره بالاعتماد على الصيد لتوفير جزءٍ إضافيّ من اللحوم.

وتشير نتائج الدراسات على البقايا العظمية الحيوانية في عدة أقاليم من جنوبي بلاد الشام إلى تباين في أنواع الحيوانات المدجنة، وإلى نسبة مساهمتها في الوجبة الغذائية. ويظهر بأن سكان موقع وادي فلاح قاموا بتدجين الماعز، والضأن، والبقر، والخنزير بنسب متفاوتة؛ وأن سكان موقع جرار Grar (وادي الشارية/ شمال النقب) قد اعتمدوا على الأبقار بنسبة 70%، وعلى الماعز والضأن بنسبة 11%، وعلى الخنازير بنسبة 8% لتأمين وجباتهم الغذائية من اللحوم، وهذا يتشابه إلى درجة ما مع المواقع الغسّولية. بالإضافة إلى ذلك، فقد اعتمد سكان مواقع بئر السبع على تربية الماعز، والضأن، والبقر، ولكن قليلاً على الخنازير (Rowan and Golden, 2009: 23-25).

إن تعدين النحاس لم يبدأ إلا في مرحلة متأخرة من العصر الحجري النحاسي، وأنه ليست كل مواقع هذا العصر استخدمت الأدوات النحاسية. ومن الواضح بأن مراكز تصنيع هذا المعدن قد انحصرت في بعض مواقع بئر السبع، حيث عثر على معامل أو خبث (كتل) النحاس في كل من شقميم، وأبو مطر، وبئر الصفدي، وخربة البيطار دون سواها من مواقع جنوبي بلاد الشام. ويمكن تصنيف الأدوات المعدنية المكتشفة في فلسطين والأردن حسب تقنية التصنيع إلى قسمين؛ الأول: تشكيل الأدوات بعد صهر المعدن الخالص وسكبه في قوالب مفتوحة، ومن ثم طرق هذه الأدوات لإعطائها الشكل النهائي، مثل: البلطة، والقدوم، والإزميل، والمخرز. أما التقنية الثانية: فقد استخدمت فيها القوالب

المغلقة والمكونة من قطعتين أو أكثر ليتم سكب المعدن المصهور غير الخالص فيها لتشكيل أدوات رمزية مثل حوامل (علاّقات) مزخرفة برؤوس حيوانات، ورؤوس صولجانات، وتيجان. وتشير نتائج كثير من الدراسات التي أجريت على الأدوات المعدنية المكتشفة في مواقع فلسطينية إلى أمرين رئيسيين؛ الأول: أن إنسان هذا العصر قد حصل على المادة الخام من منطقتين اثنتين، هما: وادي فينان (جنوب الأردن)، وتمنا (جنوب فلسطين). ويشير الأمر الثاني إلى أن غالبية الأدوات الرمزية قد تم استيرادها من منطقة شرق الأناضول (Rowan and Golden, 2009: 41-46; Gandulla and Jurf, 2017: 1010; Joffe, 2022).

بلا شك أن التبادل التجاري الداخلي كان معروفًا، خاصة أن كثيرًا من سكان مواقع هذا العصر كانوا حرفيين؛ وبذلك فإن فائض الإنتاج النباتي والحيواني، وكذلك السلع الصناعية من معدن، وعاج وأوانٍ وأدوات حجرية كانت تُصرّف داخليًا، وربما خارجيًا. أما بالنسبة إلى التبادل التجاري الخارجي مع مناطق الجوار مثل شمال بلاد الشام، والأناضول، وبلاد ما بين النهرين، ومصر، والسودان فقد جاءت دلالاته قليلة. شملت السلع المستوردة على القليل من حجر السبج، والنحاس غير الخالص، والصدف النهري والبحري، بالإضافة إلى العاج (Yellin, Levy and Rowan, 1996). ومن المرجح بأن حجر السبج، والنحاس غير الخالص قد تم استيرادهما من منطقة الأناضول؛ وأنه تم استيراد العاج، وبعضًا من الصدف من مصر والسودان (Rowan and Golden, 2009: 61)؛ أما الذهب، والذي عثر منه حتى اللحظة فقط على ثمانية خواتم في مغارة قانا، فإن مصدره ما زال مجهولاً (Gopher and Tsuk, 1996).

3. **العقيدة والممارسات الدينية**: شهد العصر الحجري النحاسي تطورًا ملحوظًا في المنظومة الدينية بالمقارنة مع العصر السابق، ومن المعتقد بأنه ترافق معه أوائل الدلائل على ممارسة الطقوس الدينية والإشراف عليها من قبل نخبة المجتمع (Rowan and Ilan, 2007: 251-250). ونستدل على المعتقدات والممارسات الدينية لهذا العصر من خلال المعابد، والتماثيل والفنون، بالإضافة إلى طرز الدفن والطقوس الجنائزية. وقد عُثر على معابد من هذا العصر في عدة مواقع، مثل: عين جدي، وجلعاد، وتليلات الغسول، وتل المتسلم. وهذه المعابد تختلف فيما بينها من حيث الشكل، والموقع، والمحتويات، ولكنها تتشابه بشكل الغرف المستطيلة، ووجود المذبح، وتنوع التقديمات الطقسية. وفيما يلي نعرض معبد عين جدي بحكم أن تخطيطه مكتمل، ولا يوجد تداخلات طبقية في بنائه من أكثر من مرحلة إنشائية. ويتكون هذا المعبد من غرفتين مستطيلتين متباعدتين عن بعضهما (إحداهما كبيرة والثانية صغيرة)، وساحة أمامية مكشوفة يتخلل سورها الخارجي مدخلان اثنان (شكل 7: أ). تبلغ مساحة الغرفة الكبيرة من الخارج 19,7م x 5,5م، ويتوسط مدخلها في أحد الجدارين الطويلين، والذي يقابله إلى الداخل مذبح نصف دائري عثر بداخله على رماد، وعظام حيوانات، وتمثال ثور يحمل على ظهره إناءين، وإلى الجوار منه تم الكشف عن بقايا طاولة قرابين. احتوت أرضية هذه الغرفة على عدد كبير من الحفر، والتي عثر بداخلها على نماذج مختلفة من التقديمات الطقسية والذي يشكل إناء القمع (Cornet) جزءًا كبيرًا منها. أما الغرفة الثانية فتبلغ أبعادها الداخلية 6,6م x 3,3م، ومن المعتقد بأنها استخدمت للخزن أو لمعيشة الكهنة. كشف في وسط الساحة الأمامية عن بقايا بناء دائري يعتقد بأنه كان في ذلك الوقت مبنياً حول جذع شجرة. وقد بنيت جدران هذا المعبد من الطوب الطيني فوق أساسات حجرية، وتكوّن سقفا الغرفتين من الخشب، والقصب، وسعف النخل. ولم يلاحظ وجود تعديلات أو إضافات على عناصر هذا البناء، الأمر الذي قد يدلل على أنه لم يستخدم لفترة زمنية طويلة (Ussishkin, 2014: 15-21).

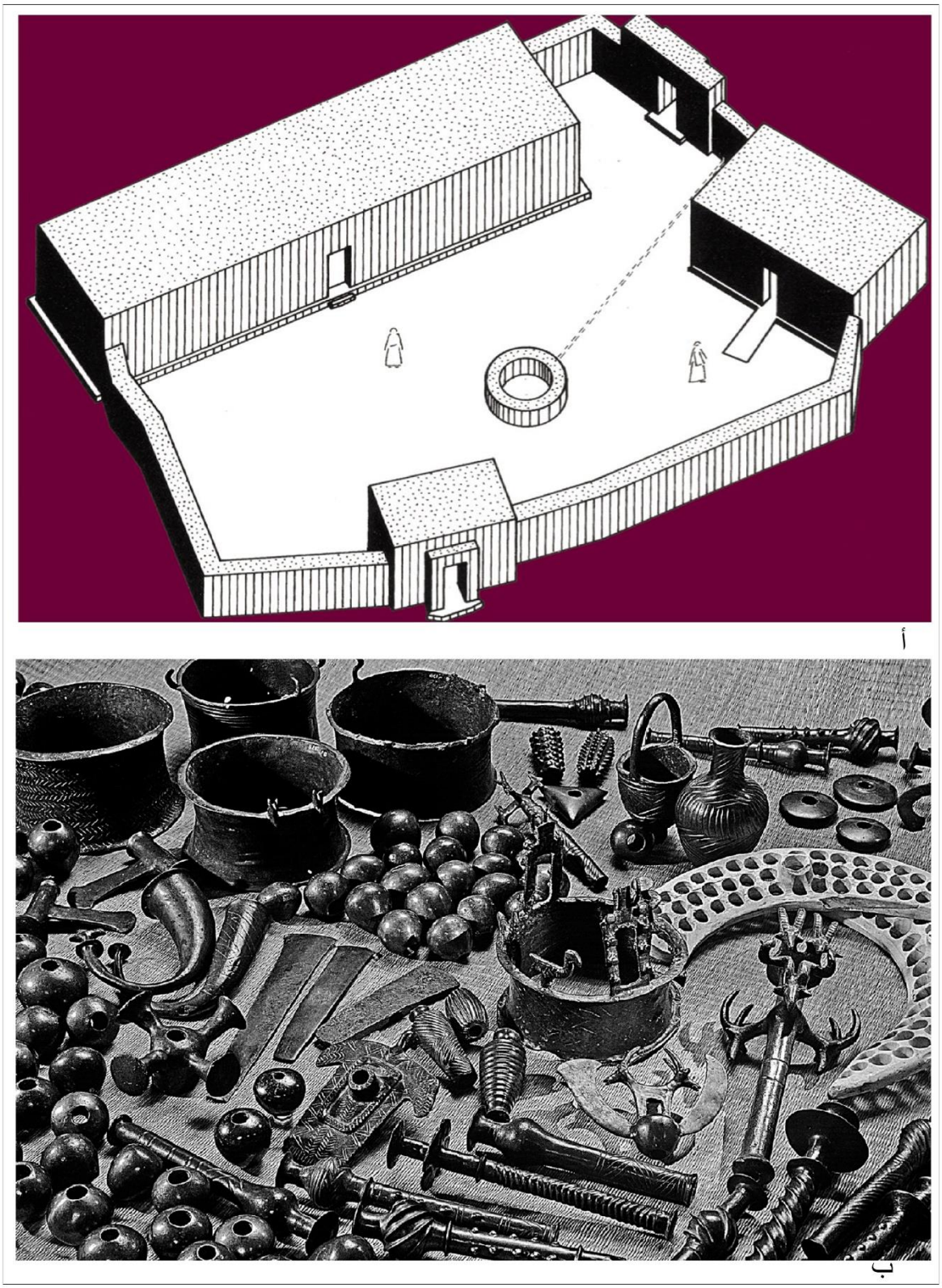

الشكل (7): أ: معبد عين جدي (Ussishkin 2014: 17)، ب: كنز مغارة وادي محروس (Rowan 2014: Fig. 16.4).

صنع إنسان هذا العصر تماثيل وأدوات طقسية من مواد أولية مختلفة، مثل: المعدن، والعاج، والطين، والحجارة، وقام برسم أشكال هندسية وبشرية وحيوانية على جدران بعض المنشآت المعمارية. عثر في كهف وادي محرس على 416 أداة معدنية طقسية، و6 أدوات عاجية، و6 رؤوس صولجانات مصنوعة من الهيماتيت، بالإضافة إلى رأس صولجان مصنوع من الحجر الجيري. وقد شملت الأدوات الطقسية المعدنية المكتشفة في هذا الكهف على صولجانات، ورؤوس صولجانات، وحمالات (العلاّقات)، وتيجان (شكل 7: ب)، بالإضافة إلى جرّة. وقد اختلفت هذه الأدوات – حتى وإن كانت من نفس الشكل – فيما بينها من حيث الحجم، والمكونات، وجودة الصناعة، ونمط الزخرفة. ومن المعتقد بأن هذه الأدوات كانت بالأساس مستخدمة في معبد عين جدي، وتم نقلها لاحقًا إلى هذه المغارة في فترة كانت تشهد خطرًا محدقًا.

وعثر على شبيه لهذه الأدوات في كل من مغارة وادي قانا، وشقميم (Tadmor and Keden, 1995: 96-99; Rose, Natali, Brotzu and Goren, 2023). وإلى جانب الأدوات المعدنية الطقسية، فقد صنع إنسان هذا العصر تماثيل بشرية (ذكرية وأنثوية) من العاج، والصلصال، والحجارة، بالإضافة إلى صناعته لتماثيل حيوانية. وكانت منطقة بئر السبع مشهورة بصناعة العاج، حيث عثر في موقع بئر الصفدي على العديد من قطع العاج الخام بالإضافة إلى العديد من التماثيل البشرية التي تعتبر من أقدم الصناعات العاجية في منطقة الشرق القديم. وقد اتصفت هذه التماثيل بأنها كانت منتصبة، وعارية، ورسغيها ممتدة بشكل أفقي أسفل الصرّة، وأنوفها كبيرة، ومكان عيونها محفورة بشكل دائري، بالإضافة إلى وجود ثقوب في الراس أو في منطقة العانة والتي تدلل على تثبيت شعر فيها (Levy, 1986: 92-94) (شكل 8: أ). وقد عثر على تماثيل بشرية مصنوعة من الصلصال أو الحجارة في كل من جلعاد (Joffe and Hallote, 2001: 10-11) (شكل 8: ب)، وفي كهف بالقرب من تل الخويلفة، وموقع D-I في وادي غزة، والبقيعة، وعين صفورية (Zippori)، وشيخ علي، وتليلات الغسول، وخربة العايدية (Milevski, 'Uza) (Getzov and Ganor, 2018: 87-93)، وقولة (Milevski, 2002: 136-138)؛ وعلى أخرى حيوانية في كل من جلعاد، وعين جدي (Joffe, Dessel and Hallote, 2001: 10)، وتل ترمس، وتليلات الغسول (Epstein, 1958: 55-58).

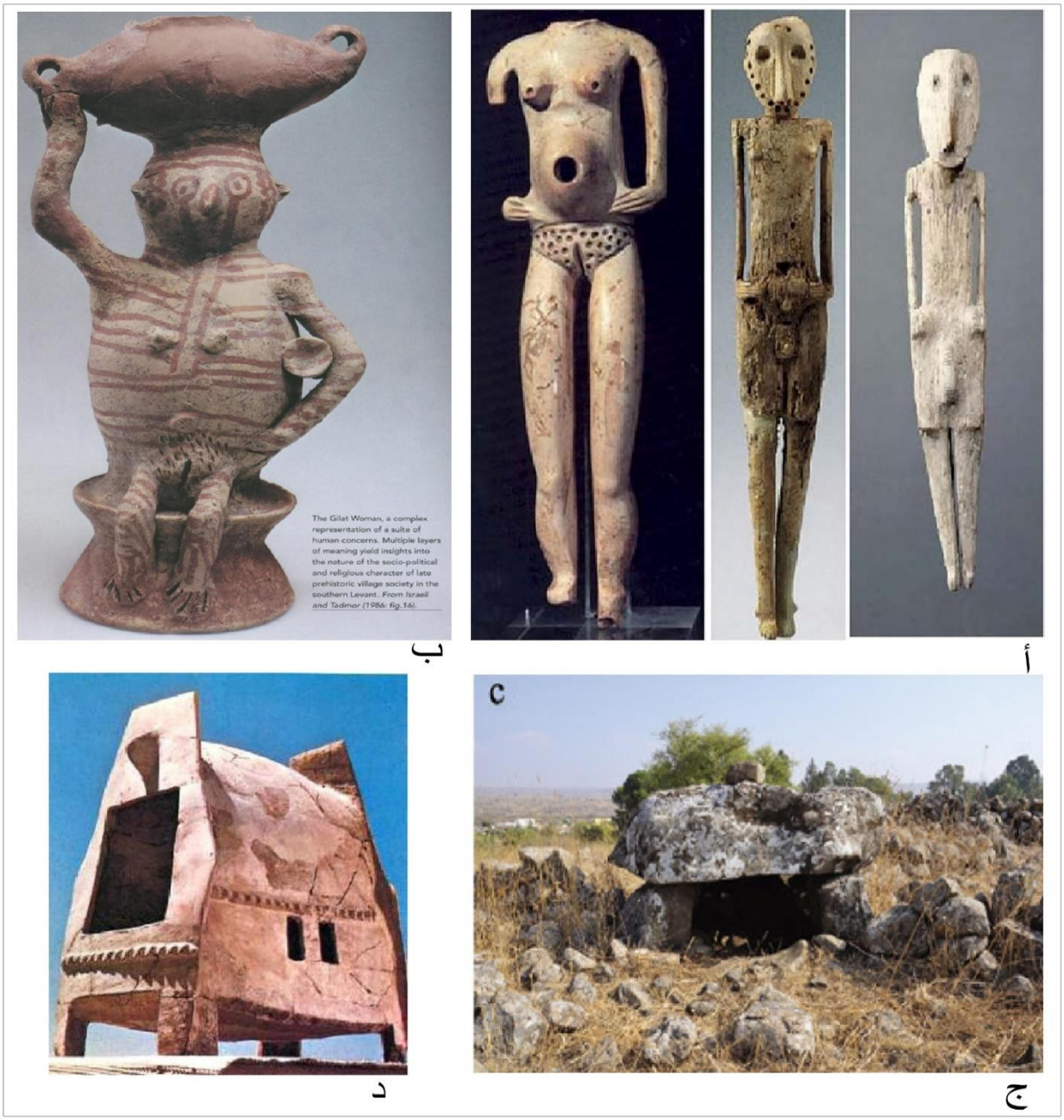

الشكل (8): أ: تماثيل عاجية من منطقة بئر السبع (northern negev chalcolithic ivory figurines - Google Search)، ب: تمثال جلعاد (Joffe, Dessel, and Hallote 2001: Fig. 10)، ج. مقابر الدولمنز (Berger and Sharon 2018: Fig. 3c)، د: صندوق صلصالي (معظمة) (Perrot 1978).

وبغض النظر عن طبيعة ومنطقة المعيشة، فقد أولى إنسان هذا العصر اهتمامًا ملحوظًا في دفن موتاه. ويتجلى هذا الاهتمام بتعدد أشكال المدافن، وبتنوع وبكثافة المرفقات الجنائزية (كفافي، 2011: 65؛ Gorzalczany, 2022)، بالإضافة إلى إدخال تغيرات كثيرة في ممارسات الدفن عما كانت عليه في العصر السابق. وتعتبر الأنصاب الحجرية (الدولمنز) (شكل 8: ج)، والصناديق الصلصالية (المعاظم) (شكل 8: د) من مستحدثات هذا العصر. تتكون الأنصاب الحجرية من عدة بلاطات صوانية مثبتة في الأرض بشكل عمودي على أحد طرفيها الطويلين وسقفت ببلاطة مماثلة لتشكل حجرة مستطيلة (2م 1 x 1 xم ارتفاعاً في المعدل)، ويحيط بها ساحة دائرية؛ وقد يوجد في الساحة الواحدة أكثر من نصب. وفي العادة، توجد هذه الأنصاب على قمم المرتفعات، ومن المعتقد بأن المدفونين فيها كانوا من الرعاة أو من كبار المجتمع، وأن مجتمعهم الرعوي أراد بذلك إظهار هذه المقابر على شكل صروح.

أما الصناديق الصلصالية فقد جاءت مستطيلة وضيقة، وأصغر من حجم الإنسان، ولها فتحة مربعة الشكل في أعلى الجانب الضيق تتسع لإدخال جمجمة إنسان بالغ. كانت قاعدتها منبسطة، أو قائمة على أرجل؛ وكان سقفها مخروطي، أو قوسي الشكل. احتوت الواجهات الخارجية لمعظم هذه الصناديق على رسومات هندسية، ونباتية، وبشرية، ونماذج معمارية؛ بالإضافة إلى أن عددًا منها احتوى على زخارف بارزة لقرون حيوانات مدجنة وغير مدجنة (إبراهيم، 1990: 56-58؛ Rowan and Golden, 2009: 50-52). استخدمت هذه الصناديق للدفن الفردي والجماعي، ومن المؤكد بأن طريقة الدفن كانت تتم بترك المتوفى في العراء حتى يتحلل اللحم، ومن ثم يتم جمع العظام فيها (كفافي 2011: 165)(لتوضع في كهوف. وقد شملت المرفقات الجنائزية في مقابر هذا العصر على أدوات الزينة، وآنية فخارية، وأدوات وأواني حجرية مختلفة الوظيفة، بالإضافة إلى تماثيل بشرية وحيوانية (Rowan and Golden, 2009: 50-52).

ولفهم الأصول العرقية لمستخدمي الصناديق الصلصالية، فقد أجريت دراسة على الشيفرة الوراثية (DNA) على 22 عينة عظمية أخذت من كهف البقيعة الذي يقع في شمال فلسطين، وتبلغ مساحته 17م طولاً 8 – 4,5 xم عرضاً، ومن المحتمل بأنه كان مستخدماً كمقبرة لموتى سكان المناطق المحيطة. عثر بداخل هذا الكهف على أكثر من 200 صندوق صلصالي وجرّة، وكانت كلها تحتوي على عظام بشرية. وتشير نتيجة الدراسة إلى أن 57% منهم لهم أصول عرقية محليّة ممتدة إلى العصر الحجري الحديث، و17% لهم أصول إيرانيّة من العصر الحجري النحاسي، و26% لهم أصول أناضوليّة من العصر الحجري الحديث (Harney et al, 2018: 1-11). ونحن على قناعة بأن مجتمعات بلاد الشام خلال هذا العصر قد اختلطت بمجموعات بشرية مختلفة من منطقة الشرق القديم، إلا أنه من المؤكد بأن نتيجة هذه الدراسة لا تعكس التقسيم الاثني لكل منطقة جنوب بلاد الشام، خاصة وأن هذا الكهف يقع في منطقة حدودية مع شمال بلاد الشام التي كانت منفتحة على بلاد ما بين النهرين، وإيران، والأناضول.

4. **الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي**: صنع الإنسان كثيرًا من الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي من مواد أولية مختلفة مثل: المعدن، والعظم، والحجر، والطين. وقد عكست كثرة الأدوات والأواني المكتشفة، بالإضافة إلى التقنية المستخدمة في صناعتها حرفية متطورة (Rowan and Golden, 2009: 47-50; Hruby et al, 2024). بالإضافة إلى الأدوات الطقسية، فقد صنع الإنسان من المعدن أدوات متعددة، مثل: الفؤوس، والمخارز، والأزاميل، والهراوات، فضلاً عن أدوات الزينة. وصنع من العظم أدوات الزينة، والإبر، والمخارز، فضلا عن التماثيل. وتضمنت الصناعات الصوانية كل من المقاشط، والسكاكين، ورؤوس السهام، وشفرات المناجل، والمناشير، والمثاقب، والأزاميل، ورؤوس الهراوات، وشملت الصناعات البازلتية على الصحون العميقة، والمباخر، وأدوات الجرش والطحن، والمغازل، ووزنات النسيج (إبراهيم، 1990: 52-55). وصنعت الآنية الفخارية إما بالطريقة اليدوية التقليدية، أو باستخدام العجلة البدائية البطيئة؛ وقد حظي كثير منها بزخارف هندسية باستخدام الفرشاة واللون الأبيض، أو البني، أو الأحمر، بالإضافة إلى زخرفة الحبال، وبصمة الأصابع. وقد شملت الآنية الفخارية على أشكال عدة، أهمها: الجرار، والصحون، ومخض اللبن، والقمع، والكأس، والمبخرة (Amiran, 1969: 22-34).

شهدت نهاية هذا العصر بعض التغيرات على نمط الاستقرار، وقلة تصنيع بعض من الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي التي أعطت هذا العصر سمة بارزة مثل: الأدوات المعدنية الطقسية، والتماثيل العاجية، والصناديق الصلصالية، بالإضافة إلى تراجع ملحوظ في عدد المواقع المأهولة ومساحتها. ولكن، وفي ظل هجران عدد كبير من المواقع مثل أبو مطر، وشقميم، وبئر الصفدي، وتليلات الغسول، وأبو حامد، إلا أن عدداً آخر منها بقي مأهولاً دون انقطاع واستمر السكن فيه خلال العصر البرونزي المبكر، مثل عسقلان، وعين الأساور، وتل الخويلفة، وبيسان، وتل المتسلم. ومن المعتقد بأن هذه التغيرات في نمط الاستقرار قد حصلت إما بسبب الحروب، أو تغيرات مناخية جذرية، أو انهيار نظام المشيخيات (Rowan and Golden, 2009: 69-71).

الخاتمة.

تشير نتائج التنقيبات الأثرية إلى أن الإنسان قد سكن في فلسطين منذ حوالي 1,5 مليون سنة، وأنه استمر فيها دون انقطاع حتى الوقت الحالي (Holl and Dawson, 2023: 1053). وخلال العصر الحجري الحديث، قام الإنسان بتأصيل انعطافه جذرية في نمطية حياته وبطريقة معيشته، حيث تحرر من الاعتماد الطفيلي الاستهلاكي على ما تجود به الطبيعة من خيرات غذائية ليصبح متحكمًا بمصادر اقتصاده

التي اعتمدت على الزراعة، واستئناس الحيوانات، والصناعة، والتجارة، بالإضافة إلى الصيد والجمع والالتقاط. وقد شهد هذا العصر زيادة في عدد القرى ومساحتها بالمقارنة مع العصر السابق؛ واستحدث ساكنوها بيوتًا مستطيلة أو مربعة الشكل، الأمر الذي زاد من عدد غرف الوحدة السكنية الواحدة. بالإضافة إلى ذلك، فقد ترافق مع هذا العصر تطور ملحوظ في منظومة الفكر الديني الذي نستدل عليه من خلال المرفقات الجنائزية، والتماثيل الحيوانية والبشرية، والمعابد، عوضاً عن الجماجم المجصصة. أما العصر الحجري النحاسي في فلسطين فقد شهد تغيرات في المنظومتين الاجتماعية والفكرية، وفي الناتج المادي، والتي تجلت في زيادة عدد المواقع المأهولة وعدد سكانها، وفي ازدياد عدد المعابد، وفي تنوع طرز المدافن، وفي التخصص الحرفي، بالإضافة إلى ظهور قرى المشيخيات التي مهّدت لنشوء نظام الدويلات المدن في العصر البرونزي المبكر.

شكّل العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي نقطة تحول تاريخية مميزة في مسار التطور البشري في منطقة بلاد الشام، وأسهما بشكل حاسم في إعادة تشكيل النظم الاجتماعية وما ترافق معها من تركيبة ثقافية واقتصادية، مما جعل من هذه المنطقة أحد أهم المراكز المحورية لنشوء الحضارة في منطقة الشرق الأدنى القديم. إن ما شهدته منطقة جنوبي بلاد الشام خلال هذين العصرين لا يمكن فهمه إلا كجزء من تَحول جذري في تاريخ البشرية، إذ مثّلت هذه المنطقة، بما فيها من تنوّع بيئي وغنى ثقافي، مختبرًا حيويًا للتطورات الأولى التي مهدت لظهور المجتمعات الحضرية الكبرى في منطقة الشرق الأدنى القديم بوصفه مهد الحضارات القديمة.

امتازت الدراسات السابقة التي تناولت العصرين الحجري الحديث والنحاسي بعرض المادة الحضارية الخاصة بكل منهما، مع محاولاتها تحديد الفواصل الزمنية بينهما وإبراز مظاهر التحول في جوانب متعددة من حياة الإنسان وابتكاراته، مثل الاستقرار الدائم في القرى، والمعتقد الديني، وممارسة الزراعة، وتدجين الحيوانات، وتطور النشاط التجاري، وصناعة الأدوات والآنية الحجرية والعظمية والفخارية ولاحقًا المعدنية. وقد اتسمت معظم هذه الدراسات بمعالجة خطية للتطور دون التعمق الكافي في تحليل الأبعاد الاجتماعية والتفاعلات الإنسانية التي رافقت تلك التحولات. أما هذه الدراسة، فتسعى إلى تقديم قراءة أكثر تفصيلًا وشمولًا للتغيرات التي أحدثها الإنسان في الجغرافية الفلسطينية خلال هذين العصرين، من خلال مقارنات متعددة الأبعاد تُمكن من فهم التاريخ البشري في سياق عمليات التكيف مع البيئة السائدة والابتكار الجماعي. كما تسلط الضوء على عدد من المسارات التطورية التي أسهمت في بزوغ الحضارات الأولى وتشكيل ملامحها المادية والثقافية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

أولاً. المصادر والمراجع بالعربية:

- إبراهيم، معاوية (1990)، فلسطين: من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت.
- أبو غنيمة، خالد (2001)، أساليب الدفن وعاداته خلال العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، دراسات تاريخية، 75-76، 1-49.
- أبو غنيمة، خالد (2006)، دراسة تحليلية للعناصر الإنشائية والمعمارية في عمارة العصر الحجري الحديث قبل الفخار في جنوبي بلاد الشام، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 22 (2)، 501-526.
- أبو غنيمة، خالد (2010)، أنماط المعيشة ودورها في التكوينات الاجتماعية في عصور ما قبل التاريخ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، 4 (1)، 138-157.
- شوفاني، إلياس (1996)، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
- كفافي، زيدان (2011)، بلاد الشام في العصور القديمة (من عصور ما قبل التاريخ حتى الإسكندر المقدوني)، شروق للنشر، عمان.
- كوفان، جاك (1988)، ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق.
- المحيسن، سلطان (1994)، بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ: المزارعون الأوائل، الأبجدية للنشر، دمشق.
- الناضوري، رشيد (1967)، المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت.

ثانياً. المصادر والمراجع الأجنبية

- Abuhelaleh, B. (2010). Exploitation of animals resources from the pre-pottery Neolithic Tell AbuSuwan site in Jordan "an archaeozoological perspective, PhD dissertation, Universita degli Studi di Ferrara.
- Amiran, R. (1969). Ancient pottery of the Holy Land, Massada Press LTD, Jerusalem.
- Barkai, R., & Biran, N. (2011). Aviel: A new Neolithic site at the foothills of Mt. Carmel. *Neo-lithics*, 2 (11), 11-18.
- Bar-Yosef, O. (1986). The walls of Jericho: An alternative interpretation. *Current Anthropology*, 27 (2), 157-162.
- Berger, U., & Sharon, G. (2018). Dolmens of the Hula Basin. *Journal of the Israel Prehistoric Society*, 48, 147-166.

- Biton, R., & Goren, Y.; and Goring-Morris, N. (2014). Ceramics in the Levantine pre-pottery Neolithic B: Evidence from Kfar Hahoresh, Israel. *Journal of Archaeological Science*, 41, 740-748.
- Caracuta, V., Vardi, J., Paz, Y., & Boaretto, E. (2017). Farming legumes in the pre-pottery Neolithic: New discoveries from the site of Ahihud (Israel). *PLoS ONE*, 12 (5), 1-28.
- Dollfus, G., & Kafafi, Z. (2001). Jordan in the fourth Millennium, Studies in the history and archaeology of Jordan VII, Amman: The Department of Antiquities of Jordan, 173-162.
- Dunn, C. (2006). Levantine late Neolithic pottery assemblages: the reworking of old "cultural" typologies at wadi ath-Thamad site 40, Unpublished MA Thesis, Department of Archaeology, University of Saskatchewan.
- Epstein, C. (1958), Laden animal figurine from the Chalcolithic period in Palestine, *Bulletin of the American Schools of Orient Research*, 258, 53-60.
- Epstein, C. (1998). The Chalcolithic culture of the Golan, Israel Antiquities Authority, Jerusalem.
- Finlayson, B., & Mithen, S. (eds). (2007). The early prehistory of Wadi Faynan, southern Jordan. Archaeological survey of Wadi Faynan, Ghuwayr and al-Bustan and evolution of the pre-pottery Neolithic A site of WF16, In, Wadi Faynan series volume 1. Levant supplement series volume 4, Oxford: Oxbow Books.
- Gandulla, B., & Jurf, P. (2017). Othernes and interaction in copper metallurgy in the Chalcolithic of the Southern Levant: the transcaucasian connection. *Clarsocura*, 16, 1-22.
- Garfinkel, Y. (2014). The Levant in the pottery Neolithic and Chalcolithic periods, in C. Renfrew and P. Bann (eds.), Cambridge world prehistory, vol. 3: west and central Asia and Europe, Pp. 14391461. Cambridge University Press, Cambridge.
- Garfinkel, Y., Ben-Shlomo, D., & Korn, N. (2010). Sha'ar Hagolan Vol. 3. Symbolic dimensions of the Yarmukian culture: Canonization in Neolithic Art, Israel Exploration Society, Jerusalem.
- Garfinkel, Y., Horwitz, K., & Alhaique, F. (2012). The bone tools (Yiftahel-Neolithic), In Eds. Y. Garfinkel, D. Dag, H. Khalaily, O. Marder, I. Milevski and A. Ronen, The pre-pottery Neolithic B village of Yiftahel: the 1980s and 1990s excavations (pp. 217-226). Berlin: Exoriente.
- George, H. et all. (2019). Household and death, 2: preliminary results of the 12th season (2018) and late PPNB Ba'ja, southern Jordan. *Neo-Lithic*, 19, 20-45.
- Gilead, I. (1987). A new look at chalcolithic Beer-Sheba, *The Biblical Archaeologist*, 5 (2), 110-117.
- Gilead, I. (2011). Chalcolithic culture history Ghassulian and other entities in the southern Levant, In eds. J. L. Lovell and Y. M. Rowan (2011). Culture, chronology and the chalcolithic theory and transition (pp. 12-24). Oxbow Books.
- Gopher, A., & Tsuk, T. (1996). The Chalcolithic assemblages. In ed. A. Gopher, the Nahal Qana cave: earliest gold in the Southern Levant, monograph series of the Institute of Archaeology (pp. 91-138). Tel Aviv University, Tel Aviv.
- Goren, Y., & Goldberg, P. (1991). Petrographic thin sections and the development of Neolithic plaster production in northern Israel. *Journal of Field Archaeology*, 18 (1), 131-140.
- Goring-Morris, A., & Belfer-Cohen, A. (2014). Houses and household: A near eastern perspective. In eds. Mary Steiner and Anne Killebrew, Oxford handbook of the archaeology of the Levant (ca. 8000-332 BCE (pp. 19-44), Oxford University Press, Oxford.
- Gorzalczany, A. (2022), Adding to the complexity of documented burial customs in the Ghassulian Chalcolithic cemetery at Palmahim (north), southern Levant. *Paleorient*, 48 (2), 1-20.
- Harney, E., et all (2018). Ancient DNA from chalcolithic Israel reveals the role of population mixture in cultural transition. *Nature Communications*, 9 (1), 1-11.
- Holl, A., & Dawson, L. (2023). From Chalcolithic to Early Bronze Age: A view from Abu Hof cave 22 (Israel). *International Journal of Modern Anthropology*, 2 (19), 1050-1083.
- Hruby, K., Kowalewska, A., Rosenberg, D., and Eisenberg, M. (2024). A Chalcolithic presence east of the Sea of Galilee: the earliest finds on Mt. Sussita. *Palestine Exploration Quarterly* 156 (4): 295-321.

- Ibanez, J., et all (2015). Testing complex network of interaction at the onset of the near eastern Neolithic using modelling of obsidian exchange. *Journal of R. Soc. Interface*, 12, 1-11.
- Joffe, A. (2022). New models for the end of the Chalcolithic in the southern Levant. In eds. Mathew Adams and Valentina Roux, Transitions during the Early Bronze Age in the Levant, methodological problems and interpretative perspectives, edited by (pp. 81-115). Zaphon, Munster.
- Joffe, A., Dessel, J., & Hallote, R. (2001). The 'Gilat woman": female iconography, Chalcolithic cult, and the end of Southern Levantine prehistory. *Near Eastern Archaeology*, 64 (1-2), 8-23.
- Levy, Th. (1986). Archaeological sources for study of Palestine: The chalcolithic period. *The Biblical Archaeologist*, 49 (2), 82-108.
- Lovell, J. (2001). The late Neolithic and chalcolithic periods in the southern Levant. New data from the site of Teleilat Ghassul, Jordan, BAR series 974/monographs of the Sydney University Teleilat Ghassul project I. Oxford: Archaeopress.
- Milevski, I. (2002). A new fertility figurine and new animal motifs from the Chalcolithic in the Southern Levant: Finds from cave K-1 at Quleh, Israel. *Paleorient*, 28 (2), 133- 141.
- Milevski, I., Getzov, N., & Ganor, A. (2018). Human figurine from the region of Tel Halif in light of schematic representations in the Chalcolithic cultures of the Southern Levant. *American School of Oriental Research*, 379, 87-102.
- Nigro, L. (2017). Beheaded ancestors. Of Skulls and statues in Pre-Neolithic Jericho. *Scienze de ll'Antichita*, 23 (3), 3-30.
- Nigro, L. (2023). Jericho. From the Neolithic to the Bronze and Iron Ages: The Urban diversity, pp. 399-414, Intervento presentato al convegno 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East tenutosi a Bologna.
- Perrot, J. (1978). Syrien-Palästina I, von den ursprüngen bis zur Bronzezeit archaeologia Mundi, München: Nadel Verlag.
- Romsburg, H. (2019), Plastered crania and community rituals in the pre-pottery Neolithic Levant, Department of Art and Anthropology, Hood College.
- Rose, Th., Natali, S., Brotzu, A., & Goren, Y. (2023). First evidence for alloying practices in the Chalcolithic southern Levant (4500-3800 BCE) as revealed by metallography. *Heritage science*, 11 (193), 1-15.
- Rosenberg, D. and Chasan, R. (2024). Ivories in the Late Chalcolithic period and their significance for understanding contacts between Egypt and the southern Levant. *Journal of World Prehistory* 37: 221-256.
- Rosenberg, D., Getzov, N., & Assaf, A. (2020). New light on long-distance ties in the late Neolithic/ early Chalcolithic Near East. *Current Anthropology*, 51 (2), 281-293.
- Rowan, M., & Lovell, J. (2011). Introduction: culture, chronology and Chalcolithic, In eds. J. L. Lovell & Y. M. Rowan, Culture, chronology and the chalcolithic theory and transition (pp. 1-11). Oxbow Books.
- Rowan, Y. (2014). The Southern Levant (Cisjordan) during the chalcolithic period. In eds. M. l. Steiner & A. Kellebrew, The Oxford handbook of the archeology of the Levant (ca. 8000-332 (pp. 223-236)), Oxford University Press, Oxford.
- Rowan, Y., & Golden, J. (2009). The chalcolithic period of southern Levant: A synthetic review. *Journal of World Prehistory*, 22 (1), 1- 92.
- Rowan, Y., & Ilan (2007). The meaning of ritual diversity in the Chalcolithic of the Southern Levant, In eds. David Barrowclough and Caroline Malone (pp. 249-256). Oxbow Books.
- Sayer, K. (2011). Architectural transitions in the pottery Neolithic, Unpublished MA Thesis, Department of Archaeology and Anthropology, University of Saskatchewan, Saskatoon.
- Stordeur, D., & Khawam, R. (2007). Les crânes surmodelés de Tell Aswad (PPNB, Syrie). Premier regard sur l'ensemble, premières réflexions, Syria Archéologie. *Art et Histoire*, 84, 5-32.
- Tadmor, M., & Keden, D. (1995). The Nahal Mishmar Hoard from the Judian desert: technology, composition, and provenances. *'Atiqot*, XXVII, 95-148.
- Twiss, K. (2001). Ritual, change, and the pre-pottery Neolithic figurines of the central-southern Levant, Kroeber Anthropological Society Papers, 85, 16-48.
- Twiss, K. (2007). The Neolithic of the southern Levant. *Evolutionary Anthropology*, 16, 24-35.

- Ussishkin, D. (2014). The Chalcolithic temple in Ein Gedi: fifty years after its discovery. *Near Eastern Archaeology*, 77 (1), 15-25.
- Vieugue, J., Garfinkel, Y., Barzilai, O., & Van den Brink, E. (2016). Pottery function and culinary practices of Yarmukian societies in the 7th millennium cal. BC: first results. *Paleorient*, 42 (2), 97-115.
- Wright, K. (1992). A classification system of ground tools from the prehistoric Levant. *Paleorient*, 18 (2), 53-81.
- Yellin, J., Levy, T., & Rowan, Y. (1996). New evidence on prehistoric trade routes: the obsidian evidence from Gilat, Israel. *Journal of Field Archaeology*, 23 (3), 361-368.
- Zeder, M. (2008). Domestication and early agriculture in the Mediterranean Basin: Origins, diffusion, and impact. *DNAS*, 105 (33), 11597-11604.